# «دبلوماسية تشارلز».. وما وراء الزيارة التاريخية

## المصادر البريطانية: الأمير وقرينته سعيدان باللقاءات المختلفة والتجارب الجديدة فى «أم الدنيا»

**قبل تقييم نتائج زيارة الأمير تشارلز أمير ويلز وولى عهد بريطانيا وزوجته كاميلا دوقة كورنوول إلى مصر، يجب أن نضع فى اعتبارنا أولا الحقائق التالية:**

**فأولا**: تشارلز، ومن قبله الملكية البريطانية بشكل عام، ليس مجرد رمز للمملكة المتحدة لا معنى لها، ولا حاكم، ولا زعيم، ولكنه رمز ذو مغزى وذو قيمة رفيعة، يشبهها البريطانيون برمزية العلم الوطنى لمصر، مثلا، أو بمكانة نشيدنا الوطنى «بلادى بلادى». **وثانيا**: تشارلز هو ولى العهد، وبالتالى، هو ملك بريطانيا القادم، وأبرز وأهم أعضاء العائلة الحاكمة، لأنه الوريث الشرعى والوحيد والأوضح لملكة بريطانيا إليزابيث الثانية، والمهام التى يقوم بها يؤديها لأنه، كما يقول البريطانيون «يمثل الملكة».

أما **ثالثا**، فالأمير تشارلز هو رمز وحدة البريطانيين، والرمز الذى يجمع الإنجليز والآيرلنديين والأسكتلنديين والويلزيين، فضلا عن شعوب الكومونولث، وقد ازدادت أهمية هذا الوضع فى أعقاب انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبى، بل يمكن القول إن البريطانيين رفضوا أوروبا بسبب شيئين مهمين فى حياتهم: الأسرة المالكة، والجنيه الإسترلينى.

أما **رابعا**، فما لا يعرفه كثيرون، وبخاصة فى منطقتنا العربية، أن الأمير تشارلز، أو ملكة بريطانيا، لا يؤدون فقط دورا رمزيا على الساحة البريطانية أو العالمية، بل تكون هناك مهام دبلوماسية رفيعة المستوى شديدة الأهمية والخصوصية، يتولاها تشارلز، أو من قبله الملكة، لتدعيم السياسة الخارجية البريطانية والدولة البريطانية فى بعض الأوقات والملفات والأزمات.

أما **خامسا**، فمن المفترض أن الأمير تشارلز، من بعد ملكة بريطانيا بطبيعة الحال، يشغل منصب الحاكم العام لكنيسة إنجلترا، وهو ما يعطى رمزية منصبه دلالة أخرى مهمة لا يمكن تجاهلها.

أما **سادسا**، وهو الأهم، أن تشارلز على وجه التحديد، مهتم بقضايا عالمية محددة، أبرزها التسامح بين الأديان، وقضية البيئة أو المناخ، فضلا عن أنه معروف عنه ولعه الشديد بدراسة الدين الإسلامى، والتحاور مع قادته، ويضاف إلى ذلك ولعه الملكى التقليدى بالآثار القديمة والمنتجات اليدوية ذات القيمة العالية، والأهم من ذلك ولعه الشخصى بمصر، وتاريخها وشمسها، والذى يتوافق ويتزامن مع جهود الدولة البريطانية لتوطيد علاقاتها مع مصر، وهو ما ظهر جليا فى التعاون الوثيق والإيجابى جدا فى تفاصيل مواجهة جائحة كورونا، وأيضا فى مجال المناخ، من جلاسكو ٢٠٢١ إلى شرم الشيخ ٢٠٢٢، وكذلك زيادة الاستثمارات البريطانية فى مصر، وبخاصة فى مجال النقل.

ومن كل ما سبق تتضح لنا أهمية الزيارة الأخيرة..

حضر تشارلز إلى مصر بهدف الإسهام بجهد أرفع مستوى فى توطيد العلاقات بين شعبى مصر وبريطانيا، واتضح ذلك من خلال رغبة الأمير وقرينته على الظهور والتواجد فى فترات كثيرة من الزيارة وسط المصريين العاديين، وهو ما ظهر بوضوح أكثر فى زيارة الأمير لبيت الرزاز، وزيارة كاميلا لعزبة خير الله، فهما منطقتان لم يكن من المتوقع من قبل أن يتم اختيارهما ليقوم ضيف أجنبى رفيع المستوى بالتجول فيهما مشيا على الأقدام، علما بأن هذين الموقعين بهما جهد استثمارى وتنموى كبير قامت به الحكومة المصرية على مدى سنوات، بتعاون وتمويل من الحكومة البريطانية، والمجلس الثقافى البريطانى.

لقاء تشارلز مع الرئيس عبد الفتاح السيسى كان هدفه تأكيد الالتزام المصرى البريطانى المشترك بالحفاظ على البيئة وببذل كل الجهد من أجل مواجهة التغير المناخى، وبخاصة قبل استضافة مصر لقمة شرم الشيخ COP27 العام المقبل. حتى لقاءات تشارلز الأخرى فى مصر تركزت على قضية المناخ، لدرجة أنه تناول القضية من وجهة نظر دينية خلال زيارته للجامع الأزهر ولقائه مع الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، وخلال لقائه مع البابا تواضروس الثانى بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فى العباسية، حيث تحدث عن نصائح الكتب السماوية للإنسان للحفاظ على بيئته، وتناولها من وجهة نظر اقتصادية فى نقطتين أخريين: الأولى فى كلمته التى ألقاها خلال حفل الاستقبال الذى أقيم له قبالة الأهرامات، والذى شارك فيه نجوم وقادة ومسئولون بارزون من المجتمع المصرى، وأكد فيها أن المصريين القدماء هم أول من علم البشرية الحفاظ على البيئة من خلال تفوقهم فى إبداع نظام لحماية البيئة، والثانية خلال لقائه رواد الأعمال الشباب ضمن مبادرة الأسواق المستدامة فى الحرم اليونانى بميدان التحرير.

تشارلز ذكر بمناسبة زيارته للأزهر أن هناك ٢٠٠ آية قرآنية تدعو للحفاظ على البيئة. كما تركز لقاؤه مع البابا تواضروس على دور الدين فى قضية تغير المناخ. وفى الحرم اليونانى، حيث استقبلته وزيرة البيئة الدكتورة ياسمين فؤاد، ناقش مع العديد من أصحاب الشركات المصرية والبريطانية الفرص الممكنة لتنمية المشروعات الخضراء. أما زيارته لمكتبة الإسكندرية، فكان فيها كل ما سبق، وعمليا، وذلك من خلال تعرفه عن قرب على تراث وحضارة المصريين.

كل هذا يؤكد أن قضية المناخ كانت هى المهمة رفيعة المستوى التى تقف وراء الزيارة. حتى زيارتا الأمير وكاميلا لبيت الرزاز وعزبة خير الله كانتا لتقديم نموذج مصرى فريد إلى العالم فى كيفية تحويل مناطق شعبية بسيطة إلى أماكن منتجة لصناعات يدوية ومنتجات بسيطة من مواد معاد تدويرها، مما يسهم فى نقل سكانها من حال إلى حال. بيان السفارة البريطانية حول نتائج الزيارة يؤكد أنها كانت «زيارة موفقة».

والبيان أكد أيضا أن الأمير وزوجته عادا إلى المملكة المتحدة «سعيدين باللقاءات المختلفة التى قاما بها، والتجارب الجديدة التى مرا بها فى أم الدنيا». وقال السفير جاريث بايلى أيضا فى تغريدة: «من روعة الأهرامات، إلى عجائب مكتبة الإسكندرية الجديدة، أشكر صاحبى السمو الملكى على قدومهما هنا. أشكر مضيفينا المصريين على الترحيب الحار. لقد عاودنا التواصل بيننا بالفعل». وبعد هذه الزيارة، ربما تكون الفترة من الآن وحتى العام القادم، أفضل الأوقات بالنسبة للعلاقات المصرية - البريطانية بشكل عام.

**فهل يمكن اعتبار تعمد التقاط أى نقطة سلبية فى الزيارة وسط كل هذه «العظمة» وسيلة لضرب نتائج الزيارة التى تتحدث عنها الصحف البريطانية بانبهار شديد؟ وهل من الصعب توقع من لديه مصلحة فى ذلك؟**

■ تشارلز فى مكتبة الإسكندرية وبجواره د. مصطفى الفقى والسفير البريطانى ومديرة المجلس البريطانى